## الفصل الأول

# مفهوم فلسفة التاريخ وأهدافها

- أولاً: فلسفة التاريخ.. مفهوم المصطلح وتطوره
- ثانياً: بواعث فلسفة التاريخ وأهدافها



تم المسح الضوئي بـ CamScanner

## أولاً: فلسفة التاريخ.. مفهوم المصطلح وتطوره

يرتبط مفهوم مصطلح فلسفة التاريخ، في نشأته وتطور دلالته، بتطور دلالة كلمة (التاريخ) لغة واصطلاحاً، ذلك أن فلسفة التاريخ، بمفهومها الثنائي الحالي، تتعلق بمعنيين أساسيين من معاني كلمة تاريخ، هما: التاريخ كعلم، والتاريخ كحوادث وقعت في الماضي. ومن ثم يبدو أن من الضروري التعرف على تطور دلالات كلمة تاريخ منذ أن استعملها العرب قبل الإسلام بمعنى توقيت الحوادث، قبل أن نتطرق لنشأة مصطلح فلسفة التاريخ وتطور مفهومه.

ولعل مما تجدر الإشارة إليه هو أن التاريخ كان، فيما نرى، معرفة ملازمة لطبيعة الإنسان وأنماط تفكيره، فقد اهتم الإنسان بالتاريخ منذ أن تجلت بواكير وعيه المعرفي الأولى وقيامه بالتعبير عن هذا الوعي من خلال الرسوم والنقوش التي زاولها لتسجيل حوادث الماضي وتخليدها، ومن ثم عن طريق الكتابة التي اكتشفت من قبل السومريين في حدود سنة 3300 ق. م[1].

عرف العرب قبل الإسلام في جنوب الجزيرة العربية (اليمن)، وفي شماليها (الغساسنة والمناذرة)، التاريخ بمعنى توقيت الحوادث، أي ذكر حوادث الماضي مع وقت وقوعها. وكان تحديد الوقت هذا يستند الى تقويم شمسي وقمري، يعينون على وفقه الأوقات ويضبطون الأزمنة والحوادث، تدعوهم الى ذلك أسباب عدة كالزراعة - لعرب الجنوب خاصة - التي تستلزم معرفة تقلبات الجو وتبدل المواسم، وكالأعياد والشعائر الدينية وطقوس العبادة التي لها أوقات محددة من السنة، وكذلك التجارة وحركتها في البر والبحر[2]. وغالباً ما كان هؤلاء العرب يدونون هذا المعنى لـ

(1) Jaspers, Karl, The Origin and Goal of History, Translated from German by Michael Bullock, Routledge & Kegan Paul Ltd., London 1953, P.45.

(2) للتفاصيل: علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ط2، دار العلم للملايين، بيروت 1978، ص434، -509 511.



تم المسح الضوئي بـ CamScanner

(التاريخ)، أي تسجيل الحوادث على أساس الزمن، عن طريق النقوش والكتابات[1]. أما عرب شمال الجزيرة العربية الذين نزل وحي الإسلام بينهم، فلم يعرفوا استعمال كلمة (تاريخ) بأي من معانيها الاصطلاحية المعروفة لنا. كما يبدو أن استعمال هذه الكلمة في لغتهم آنذاك لم يكن معروفاً أيضاً أو نادراً في أحسن الأحوال، فلم تظهر كلمة (تاريخ) بمعنى (الزمن) و (الحقبة) لا في الأدب الجاهلي ولا في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف[2]. ويبدو أنها لم تستعمل أو تظهر أيضاً بمعنى الدلالة على ماضي الأفراد والجماعات، وكان التاريخ بهذا المعنى يتمثل عندهم بالقصص الشفهي المعروف بـ (أيام العرب) التي تتضمن ذكر أخبارهم ووقائعهم الماضية. على أن العرب جميعاً كانوا يستندون في التقاويم التي يستعملونها الى وقائع عظمى يجعلونها بداية لتوقيت الحوادث، مثل سنة موت قصي بن كلاب[3]، وعام الفيل، وعام الخُنّان، وسواها[4].

ويبدو أن أول استعمال لكلمة (تاريخ) من قبل العرب المسلمين كان لمعنى (التوقيت) و (التقويم)، بعد أن اتخذ المسلمون في السنة السابعة عشرة بعد الهجرة تقويماً خاصاً بهم يبدأ بهجرة النبي محمد (ص) الى يثرب. وكان استعمالهم للتقويم يعبر عن حاجة عملية تطلبها نظام الدولة الجديدة وتفاعلاته مع الثقافات الأخرى، كتقسيم أموال العطاء، وضبط أوقات المراسلات بين الخليفة وبين الولاة وأمراء الفتح، والضرائب كالخراج والجزية[5]. وقد تطور المعنى اللغوي لكلمة (تايخ)

---

(1) الدوري، عبد العزيز، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، دار المشرق، بيروت 1983، ص13؛ مصطفى، شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون، ج1، ط2، دار العلم للملاين، بيروت 1979، ص53.

(2) ينظر: روزنثال، فرانز، علم التاريخ عند المسلمين، ترجمة الدكتور صالح أحمد العلي، مكتبة المثنى، بغداد 1963، ص23.

(3) اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الأخباري، تاريخ اليعقوبي، ج2، دار الفكر، بيروت 1956، ص4.

(4) للتفاصيل: علي، سبق ذكره، ص 521 - 523؛ المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين ابن علي، كتاب التنبيه والإشراف، مطبعة بريل، ليدن 1893، ص208 - 209. والخنان عام وقع فيه مرض عضال فتك بالناس والإبل في زمن المنذر بن ماء السماء، وانتشر في العراق ونجد.

(5) ينظر: روزنثال، سبق ذكره، ص-23 24؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، حققه وعلق عليه بالانكليزية فرانز روزنثال، ترجمة التعليقات والمقدمة صالح أحمد العلي، مطبعة العاني، بغداد 1963، ص 140 - 145.



تم المسح الضوئي بـ CamScanner

لدى العرب المسلمين، فأصبحت تحمل، فضلاً عن معنى التقويم، معان اصطلاحية أخرى، أهمها:

1 - حوادث الماضي، وهو المعنى الذي كان يشير إليه العرب آنذاك بكلمة (أخبار)، وللشخص الذي يقوم بتدوين الأخبار بـ (الأخباري).

2 - تدوين حوادث الماضي وحفظ الأخبار بشكل متسلسل متصل الزمن والموضوع. وظهر في منتصف القرن الثاني الهجري ما يظن أنه أول مؤلف يحمل عنوان (تاريخ) في العصر الإسلامي، وهو كتاب (التاريخ) لعوانة بن الحكم الكوفي المتوفى سنة 147 هـ[1].

أما في العصر الحديث، فقد تعددت دلالات كلمة (تاريخ) وما يقابلها في اللغات الأوربية، لاسيما بعد الاهتمام بموضوع التاريخ منذ القرن الثامن عشر واقتران دراسته ومناهجها بمباحث ورؤى فلسفية، فالتاريخ أصبح يعني:

1 - حوادث الماضي التي تخص مجتمعاً بشرياً أو دولة أو أمة من الأمم، كالتاريخ الروماني أو تاريخ العراق أو التاريخ العثماني. ويقابل هذا المعنى باللغة الانكليزية:

The History of

2 - تدوين حوادث الماضي ودراستها = Historiography

3 - علم التاريخ، والمؤلفات تضم هذا العلم بين دفتيها = The History

4 - تحديد زمن وقوع الحادثة باليوم والشهر والسنة = The Date

5 - السيرة أو ترجمة حياة الإنسان = The Biography

6 - التقويم الذي يؤرخ به = Era، كقولنا التاريخ الميلادي أو التاريخ الهجري[2].

إن أكثر هذه المعاني أهمية هما المعنيان الأول والثاني، أي التاريخ بمعنى حوادث الماضي، والتاريخ بمعنى تدوين تلك الحوادث ودراستها. ولكي يجري

(1) للتفاصيل: مصطفى، سبق ذكره، ص51.

(2) نفسه، ص-50 51؛ باقر، طه وآخر، طرق البحث العلمي في التاريخ والآثار، ط1، مطابع مؤسسة دار الكتب في جامعة الموصل، الموصل 1980، ص9.



تم المسح الضوئي بـ CamScanner

الاستقصاء بالبحث والبحث المتكامل



التمييز بين المعنى الأول والمعنى الثاني والتعرف على أي منهما هو المقصود من كلمة (تاريخ)، استعمل الفيلسوف الألماني امانويل كنت (1724 - 1804) في أواخر القرن الثامن عشر كلمة Geschichte بالألمانية لتدل على المعنى الأول، وكلمة Historie لتدل على المعنى الثاني[1]. كذلك فقد خصصت كلمة History في اللغة الانكليزية فيما بعد لتدل على المعنى الأول، وكلمة Historiography لتدل على المعنى الثاني[2]. أما في اللغة العربية فأصبحت كلمة (تاريخ) تعني المعنى الأول أي حوادث الماضي، وكلمة (تأريخ) بالهمزة تعني تدوين حوادث الماضي ودراستها، أي المعنى الثاني[3].

على أن المعاني الاصطلاحية التي وضعت للتاريخ دار معظمها حول هذين المعنيين، بدءاً من تعريف إبن خلدون للتاريخ بأنه «خبر عن الاجتماع الإنساني»[4]، وصولاً الى تعريف حسن عثمان له بأنه «بحث واستقصاء حوادث الماضي»[5]. إلا أنه يبدو أن كلمة (التاريخ) تشير، في أهم ما تعنيه من دلالاتها الاصطلاحية، الآن الى هذين المعنيين معاً، الأمر الذي نتمكن معه من تعريف التاريخ بأنه: ماضي البشرية متمثلاً فيما وصلنا منه عن طريق النقوش والآثار المادية والكتابة، والعلم الذي يدرس وقائع ذلك الماضي وحوادثه من خلال منهج خاص بغية الكشف عنه.

وقد ارتبط هذان المعنيان بالمفاهيم التي حملها مصطلح (فلسفة التاريخ) منذ

---

(1) كنت، إمانول، نظرة في التاريخ العام بالمعنى العالمي، (مقال)، ترجمه عبد الرحمن بدوي ونشره ضمن كتاب (النقد التاريخي)، دار النهضة العربية، بالقاهرة 1970، ص296؛ وينظر أيضاً: هيجل، ج. ف. ف، محاضرات في فلسفة التاريخ، ج1 (العقل في التاريخ)، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1980، ص172.

(2) مارّو، هـ. أ، من المعرفة التاريخية، ترجمة جمال بدران، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة 1971، ص31؛
Dray, William H., Philasophy of History, Prentice- Hall, Inc., U.S.A 1964, P.1.

(3) ينظر: المعجم الوسيط، دار الدعوة، استانبول (د.ت)، مادة (أَرَخَ)، ج1، ص13؛ زريق، قسطنطين، نحن والتاريخ، ط5، دار العلم للملايين، بيروت 1981، ص14.

(4) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د.ت)، ص35. سنشير الى هذا المصدر فيما بعد، في جميع فصول الكتاب، بـ (المقدمة).

(5) عثمان، حسن (الدكتور)، منهج البحث التاريخي، ط4، دار المعارف، القاهرة 1980، ص12.



تم المسح الضوئي بـ CamScanner

أواخر القرن التاسع عشر، ذلك أن الفكر التاريخي الفلسفي الذي انبثق على يد فولتير بعد منتصف القرن الثامن عشر، قد أفرز رؤى وتصورات ربطت التاريخ، كحوادث للماضي البشري، وكرصد معرفي علمي لهذه الحوادث، بالفلسفة لتنتج ما عرف بـ (فلسفة التاريخ) بشقيها التأملي والنقدي.

**فلسفة التاريخ:**

ظهر مصطلح فلسفة التاريخ لأول مرة في بحث نشره في سنة 1756 الفيلسوف الفرنسي فولتير. وكان فولتير يعني بمصطلحه المبتكر هذا أن يُدرس التاريخ على أسس تحليلية نقدية يلتزم فيها المؤرخ بنوع من التفكير التاريخي يمكّنه من تمييز روايات التاريخ، على وفق تلك الأسس، لاستبعاد غير المعقول منها. وهذا المفهوم الذي أراده فولتير لفلسفة التاريخ كان يدور في إطار عملية البحث التاريخي، وتوسيع الآفاق الفكرية والنقدية للدراسة التاريخية للوصول الى تاريخ يعكس طبيعة التقدم المطرد للعقل البشري، ويبتعد عن الأفكار الضيقة للمؤرخين الأوربيين التي تهتم بالحروب والتاريخ السياسي فحسب دون الاهتمام بالتاريخ الحضاري، وتؤمن بمركزية أوربا، وتعتمد قصص العهد القديم كمسلمات ثابتة[1].

على أن هذا المعنى الذي وضعه فولتير لفلسفة التاريخ قد سبقه إليه إبن خلدون - سبق الى المعنى دون المصطلح - في مقدمته من خلال نقده للمؤرخين، ووضعه لمعايير كتابة تاريخ صحيح - نسبياً - يخلو من الأكاذيب والأخطاء والمبالغات. كما أننا نجد أن المعنى الذي خصصه فولتير لمصطلح فلسفة التاريخ يخص عمل المؤرخ، كما هو حال هذا المعنى عند إبن خلدون، ولا يجعل من فلسفة التاريخ «موضوعاً فلسفياً مستقلاً عن موضوعات الفلسفة الأخرى»[2].

---

(1) ينظر: صبحي، أحمد محمود، في فلسفة التاريخ، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي 1989، ص-180 185؛ ويدجري، آلبان. ج، التاريخ وكيف يفسرونه... من كنفوشيوس الى توينبي، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1972، ص143.

(2) كما يرى غانم الهنا في النص الذي نقلناه عنه هذا الذي ورد في مقاله: فلسفة التاريخ، المنشور ضمن مواد الموسوعة الفلسفية العربية، م2، ق2، ط1، معهد الإنماء العربي، بيروت 1988، ص986.



تم المسح الضوئي بـ CamScanner